المحاضرة الثامنة:
مصادر غريب اللغة

أولا: تمهيد:

برز اهتمام العرب بلغتهم عندما بدؤوا نشاطهم الأول في جمع ألفاظها في مصنفات حملت اسم "الغريب". ودارس العربية والباحث فيها يشنف سمعه مصطلح "الغريب" فيفهم منه للوهلة الأولى - انسجاماً للمسمى مع اسمه[1]، أنه يدور حول الألفاظ الغريبة المتعارف على سماتها في العرف اللغوي - البلاغي. فهل ضمت هذه المصنفات في ثناياها الألفاظ الغريبة؟؟ وما هو الغريب المقصود فيها؟؟.

ثانيا: مفهوم الغريب:

أ- التعريف اللغوي:

الغريب لغة: البعيد عن وطنه، جمعه غرباء. وقالت العرب: "قذَفَتْهُ نوى غَرْبة، أي بعيدة"[2]. كما جاء في استعمالهم: "أصابه سهْمُ غَرْب وسَهْمٌ غَرْبٌ، أي لا يدري راميه[3]. من خلال المعاني المتقدمة، يلاحظ أن مادة (غريب) تحمل في أصولها معنى البعد من الأنس، والانفراد عن أبناء الجنس. وبكلمة "الغريب" مرادف للحوشي والشارد والنادر. قال السيوطي: "معرفة الحوشي والغرائب والشواذ والنوادر هذه الألفاظ متقاربة، وكلها خلاف الفصيح[4].

ب- التعريف الاصطلاحي

الغريب في الاصطلاح هو "الغامض من الكلام، وكلمة غريبة"[5] . والكلام الغريب، أو الغرابة في اللفظة هي "كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة"[6] .

ثالثا: أنواع الغريب:

أعار علماء العربية اللفظ الغريب عنايتهم من الدرس والبحث، فميزوا بين نوعين من الغريب[7]،

أ- أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن ينقّر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تَكْأ كأتم عليّ تَكَأْكُؤَكم على ذي جِنَّة، افرنقعوا عني، أي اجتمعتم، تنحوا.

ب- أن يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجاج: وفاحماً ومَرْسِنا مسرَّجا[8]

---

[1] - قالت العرب: "لكل مسمى من اسمه نصيب"، فسموا "يحيى" ليكون له من اسمه نصيب، فيطول به العمر، ينظر، محمد محيي الدين عبد الحميد: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب (حاشية شذور الذهب)، ص374 حاشية (194.(

[2] - الزمخشري: أساس البلاغة (دار صادر، بيروت، 1399هـ - 1976م)، ص447، ما دة (غرب.(

[3] - الفيروز ابادي: للقاموس المحيط (دار الفكر، بيروت، 1398هـ -1978م)/ مج1، ص111، مادة (غريب.(

[4] - السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مج1 ص233.

[5] - ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص640، مادة (غرب.(

[6] - الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات (مكتبة لبنان، بيروت، ط جديدة، 1985م)، ص167، مادة (غرابة.(.

[7] - ينظر، السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (شرحه وضبطه وصححه.. محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجليل، بيروت لا.تا) مج1 ص186، والقزويني: الايضاح في علوم البلاغة (شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط5. 1400هـ -1980م)، ج1- ص72.

قال العلماء معلقين: "فإنه لم يظهر ما أراد بقوله مسرجاً" حتى اختلف في تخريجه، فقيل هو من قولهم للسيوف سُرَيْجيّة منسوبة إلى قَيْن يقال له سُرَيْج، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، وقيل إنه في البريق كالسّراج."

رابعا: كتب الغريب في اللغة:

1- كتب الغريبين : وهى الكتب التي تعنى بجمع الألفاظ الغريبة على القارئ في القرآن الكريم أو الحديث النبوي ، وكانت في طليعة كتب اللغة في تلك المرحلة المبكرة ، ويرجع أول كتاب في غريب القرآن إلى الصحابي عبد الله بن عباس (- 68 ه) ، ثم تعاقبت بعد ذلك كتب كثيرة في الموضوع نفسه مثل كتاب ابن قتيبة . كما يرجع أول كتاب في غريب الحديث إلى أبو عبيدة معمر بن المثنى (- 209 ه) وتبعه علماء كثيرون منهم النضر بن شميل وقطرب والأصمعى...الخ.

2- كتب النوادر: من أوائل كتب اللغة زمرة من الكتب تحمل اسم النوادر ، وتقوم هذه الكتب على جمع الألفاظ الغريبة والنادرة ومعرفة معناها ومواضع استعمالها من خلال النصوص الشعرية والنثرية ، وكثر التأليف في النوادر منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى لا نكاد نجد عالما من علماء اللغة لم يضع كتابا في النوادر ، ومن كتب النوادر المبكرة ما ألفه أبي عمرو بن العلاء (-154 ه) والكسائي (-189ه) وأبو زيد الأنصاري (-215ه) ... وتقدر هذه الكتب بأكثر من أربعين.

3- كتب الأضداد : نمط من أنماط كتب اللغة فرضته طبيعة اللغة العربية نفسها من حيث تفردها بألفاظ معينة يفيد كل منها معنيين متضادين مثل (باع) يكون على المعنى المعروف عند الناس، ويكون بمعنى ابتاع واشترى، ومثل (الضعف) فيكون ضعف الشيء مثله، ويكون مثليه، وكذلك (الغريم) الذي له الدين، والذي عليه الدين أيضًا، أي الدائن والمدين، وغير ذلك. ومن أبزر العلماء الذين ألفوا في هذا النمط ابن السكيت (- 244ه) وابن الأنباري (-328ه) وغيرهم .

4- كتب اللحن: وهي التي تعنى بتقويم اللسان بعد أن سرى الفساد إلى لغة العرب، التي يتكلمونها بعد اختلاطهم بالأعاجم منذ أوائل العصر الإسلامي. ويعد كتاب (ما تلحن فيه العوام) للكسائي المتوفى عام 189ه أقدم ما وصل إلينا من الكتب في هذا الموضوع، وتبعته في مثل هذه التسمية تقريبًا كتب كثيرة مثل (ما تلحن فيه العامة) لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى عام 209 ه

5- وهناك كتب محدودة الموضوع بنيت على ظاهرة لغوية، أو على معنى من المعاني ، وهي كثيرة جدًا لعل أبرزها : كتب الحيوان والنبات ؛ ومنها كتاب الإبل وكتاب الخيل للأصمعي (- 216ه) وكتاب الخيل للنضر بن شميل ... الخ

---

[8] - الزمخشري: أساس البلاغة (دار صادر، بيروت، 1399ه - 1976م)، ص447، ما دة (غرب.(